مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

نبـع العطـاش

شـعـر



محيي الدين خريّف

نبع العطاش   شعر

محيي الدين خريّف

- ولد عام ١٩٣٢ بنفطة بالجنوب التونسي.
- نشأ في أسرة تهتم بالأدب، وكان والده متصوفًا وشاعرًا.
- شارك في مهرجانات كثيرة داخل الوطن وخارجه.
- من دواوينه الشعرية: كلمات للغرباء ١٩٦٩، حامل المصابيح ١٩٧٠، السجن داخل الكلمات ١٩٧٥، مدن معبد ١٩٧٦، الرباعيات ١٩٧٦، الفصول ١٩٨٠، طلع النخيل ١٩٨٠، البدايات والنهايات ١٩٨٧. وله في شعر الأطفال: الطفل والفراشة الذهبية ١٩٧٥، أغاني الطفولة ١٩٧٥، محاورات الأطفال ١٩٧٩، مسرحيات الأطفال ١٩٨٠، براعم الطفولة ١٩٩٢.
- من مؤلفاته: صور وذكريات مع مصطفى خريّف، المختار من الشعر الشعبي التونسي، أحمد بن موسى حياته وشعره، محمد شقرون حياته وشعره، حديقة الضحك.
- حصل على جوائز تقديرية كثيرة كان آخرها الجائزة التقديرية في الفنون والآداب لرئيس الجمهورية ١٩٩١. وجائزة الإبداع الشعري لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ١٩٩٢.
- توفي رحمه الله عام ٢٠١١.

الكويت
2012

نبـــع العطـــاش

شـعـــر

محيي الدين خريّف

الكويت

2012

أعدّه للطباعة وراجعه

محمود البجالي

ريــم معروف

الصـف والتنـفيـذ

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة لمؤسسة

جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

الإخــراج وتصميــم الغـلاف

محـمـد العــلـي

طبعـــة خاصـة

بترخيص من أصحاب الحقوق بالتزامن مع احتفال المؤسسة

بالمهرجان الخامس لربيع الشعر ٢٥ و٢٦ و٢٧ مارس ٢٠١٢

هاتف: 22430514 - فاكس: 22455039 (965+)

E-mail : kw@albabtainprize.org

التصديـر

يعتبر الشاعر محيي الدين خريِّف من كبار شعراء العربية في القرن العشرين، وإذا كانت تونس قد أعطت للشعر العربي صاحب البيت الشهير: «**إذا الشعب يومًا أراد الحياة...**» أبا القاسم الشابي، فإنها لم تتوقف عنده، بل استمرت في إنجاب عدد من الشعراء المهمين في المسيرة الشعرية العربية..

وقد تنبهت مؤسستنا منذ وقت مبكر لإنجازات محيي الدين خريّف فأعطته جائزتها الكبرى عام ١٩٩٢ مقدِّرة جهوده وعطاءه الثرّ، حيث قدم للشعر العربي تسع عشرة مجموعة شعرية..

وقد أشادت الدراسات الكثيرة التي تناولت شعره وحياته بالدرس والبحث إلى أنه بدأ كتابة الشعر عام ١٩٤٩ واستمر على ذلك حتى وفاته عام ٢٠١١م..

وإيمانًا من مؤسستنا بأهمية التنبيه لجهود الشعراء البارزين والثناء على ما قدموه للأمة كلها من فيض قرائحهم، رأت المؤسسة وهي تنظم الموسم

الخامس من مهرجان ربيع الشعر في مارس ٢٠١٢ الاحتفاء بالشاعر الكبير محيي الدين خريّف والأديب الكبير الأستاذ عبدالله زكريا الأنصاري..

وضمن هذا الاحتفاء نقدم هذا الديوان الذي كان مخطوطًا ومحفوظًا لدى أسرته التي قدمته لنا واعتنينا بنشره وتقديمه هدية لتونس الجديدة القديمة وللثقافة العربية تحية من الكويت وحركتها الأدبية والثقافية..

عزيزي القارئ..

أرجو أن تجد في هذا الديوان ما يفيد ويمتع.

والحمد لله،،،

عبدالعزيز سعود البابطين

٢١ من ربيع الآخر ١٤٣٣هـ

الموافق ١٤ من مارس ٢٠١٢م

****

ذهــابٌ وإيـــاب

نمـضـي ولــيــلُ الــشَّـــوقِ لا يمـضـي
ونـــعـــودُ مِــــن سِــنَـــةٍ إلـــى غَـمْـضِ
جـــــرحٌ قــــديمٌ بــــاتَ يُــسْـــهِــرُنــا
وهـــــوًى جـديـدٌ جَـــدَّ فـــي الـــرَّكـض
ألحــــانُـــنـــا أبـــــــدًا تُمــــزِّقُــــنــــا
وطـمـوحُـنـا يـهـفـو إلـــى الــرَّفْــض
إقْـــضِ بمـــا قَـــدْ شِـــئْـــتَ يــا زمـنًـا
مـــا زال فـــي أعــقــابِــنــا يـقـضـي
اقْـــطَـــعْ يـــــدًا كــانــت تُـبـارِكُـنـا
أهـــــرِقْ دمًـــا أزكـــى مِـــــنَ الأرض

****

الشِّفاهُ الظِّماءُ

أنـــتَ فـــردٌ وأنـــا فـــي الـــنَّـــاس ثـانـي
فـمـتـى تُـــــدْرِكُ مَــعْــنــاكَ الـمـعـانـي
كُـلَّـمـا الـغَـيْـتُ قـلـبـاً عـــاد لـي
منـكَ قـلـبٌ يَـقْـتَـفـي عُـمْـرَ الـثَّـوانـي
لـــمْ يَـــزَلْ يَـحـمـلـنِـي فــي نَـــزَقٍ
لمـــغــانٍ دونـــهـــا كُـــلُّ المـغــانـي
هـــو شـــرقٌ وأنـــا شــــرقٌ ومَـــنْ
مِـثْـلُـنـا يـبـقـى عـلـى مـــرِّ الـــزَّمــانِ
نمـتـطـي المـجـهـولَ حـتَّـى نـلـتـقـي
بـعـدَ وهـــنٍ بـأمـانـيـنـا الـحِـســان
عـنـدمـا تـنـطـلـقُ الـكـلـمـةُ مِـن
شَـفَـةٍ ظَـمْـأى ومِـــن صَـــدْرٍ يُـعـانـي
ويـــعـــودُ الـــدَّهْـــرُ طـفـلاً بـاسـمًـا
يـنـشـرُ الـفـرحـةَ فـي كـــلِّ مـكـان

****

المبعـــدون[1]

اصْـــدَعْ فـبـعـدَ الأمـــسِ يــومٌ جـديـدْ
تــأكـلُ فـيـهِ الــنَّــارُ قـلْـبَ الــحَـديـدْ
يـطـلـقُ مَــن قَـــدْ كـــان فـــي أَسْـــرِهِ
مُـكَـبَّـلاً بـالـصَّـمْـتِ حـتَّـى الـجُـمُـود
ويــفــتــحُ الأبـــــوابَ لـلـعـائـدِ الْـــ
ـمُـشْـتـاقِ مَـلَّـتْـهُ هـنـاكَ الــحُـدود
وجــــهٌ كـمـا شـــاء الـــزَّمـــانُ لـه
أمــثــالُــهُ فـــي صـفـحـاتِ الـــجُـدود
لا يـقـطـعُ الـحـبـلَ ولا يـتَّـبِـعُ الـظْـ
ـظِـلَّ ولا يـلـبـسُ ثَـــوْبَ الـعـبـيـد
يَـنْـشِـلُـنَـا مـــن وصـمـــةٍ مـــا لـهـا
فـيـمـا أكــالُــوه لـنـا مـــن مَـزيـد
تمـشـي بـنـا الأيـــامُ سـبَّـاقـةً
إلــى الــذي شَـــاءَتْ وشـــاءَ الـوجـود
فـــتــــارةً يَـــقـــذفُـــنـــا بَـــحـــرُهـــا
وتــــارةً تَـــطْـــرُدُنـــا بـالـحـشُــود

(١) قيلت في المبعدين الفلسطينيين إلى جنوب لبنان من افترشوا الثلج ينتظرون العودة.

ونـــحــن لا نـــدفـــعُ بـــالـــشَّـــرِّ مـا
قَـــدْ نـــابَ مـــن ذُلٍّ وعــســفٍ مـريـد
كـــأنَّمـــا قَـــدْ خُـــلِـــقَ الـــشَّـــرُّ كَـــيْ
نـلـقـاهُ مـهـمـا كــان خَـصْـمًـا عـنيد
فَـــلَـــمْ نُـــــجَـــرِّبْ دَفْـــعَـــهُ مَـــرَّةً
ولـــم نُـــذِقْـــهُ لـــلـــعــدوِّ الــكَــنُــود
فــمــا لــنــا غــيــرُ ادّعـــاءَاتِــــنَـــا
نُـلْـبِـسُـهـا مِـــن قَـــوْلـنـا مـــا نـريـد
تـضـحـكُ مـنَّـا الـشَّـمـسُ تـرمـي بـنـا الْـ
أمـــواجُ يـطـويـنـا الــظَّــلامُ الـشَّـديـد
فـــأيـــنَ مِـــنَّـــا زمـــــرةٌ لـــم تَـــزَلْ
تَـصْـفَـعُ دهــرًا غـالَـهـا بـالـصُّـمـود
تـفـتـرشُ الــثَّــلــجَ ومـــا جَـــمَّـــدَ الـثْـ
ـثَلْـجُ الـــدَّمَ الـقـانـي لـهـا فـي الـوريـد
تُـفْـنَـى انـتـظـارًا هــل تُـــرى دَهـرَهـا
قَـــدْ كُـــبِـــلَـــتْ أيـــامُـــهـــا بـالـقـيـود
أمْ أنَّــهـــا أكــبـــرُ مِـــن لــعــبــةِ الْـــ
أيـــامِ أقـــوى مـــن مــرامـــي الـحـقـود
سَـــلْـــهُـــمْ إذا مـــا جـئْـتَـهـمْ زائـــرًا
أَســـيـــدٌ غـــالَـــهُـــمُ أَمْ مَـــسُـــود
أمْ ظـــالـــمٌ مـــا زال فـــي غِـــيِّـــهِ
يَـــغْـــمُـــرُ بـــالأحـــزانِ قـــلـــبَ الـولـيـد

أقـــــولُ قـــــولاً لا أرى بَـــعْـــدَهُ
إذا دَعــا الــدَّاعــي غــدًا مِــن مَـجِـيد

كــونُــوا كـمـا أنـتـم وكـالـصَّـخْـرِ في
سُـفـوحِـنـا يـشـربُ صــوتَ الـرَّعـود

ونـــادمُـــوا الأرزَ فَـمَـن نــــادَمَ الأرْ
زَ فـقـد أمـسـى بِـظِـلِّ الـخُـلـود

وكـلَّـمـا أشْــرَفْــتُــمُ سَـلِّـمُـوا
عـلى روابـي الـقُـدْسِ حُـلْـمِ البعيد

مـنـهـا أتَـيْـنـا وهــي فــي قَـلْـبِـنا
وبــعــدَ أيــــامٍ إلــيــهــا نــعــود

١٩٩٣/٢/٢٣

****

العيـــد

أيُّــهــا الـعـيـدُ قِـــفْ بـبـابـي قـلـيـلا
ربّـــمــا نــــوَّرَ الــوقـــوفُ الـسَّـبـيـلا
فـيـكَ مـا فـي المــروجِ مـن فتنـةِ السِّـحْـ
ــرِ وقَـــدْ يُــبْــدِعُ الجـمـيـلُ الجَـمـيـلا
أَرجٌ لا أراهُ يَـــعْـــبِـــقُ إلا
فـــي زمــــانٍ قَـــدْ فَـــكَّ عـنـه الـكُـبُـولا
وأنـــا فـــي مَـتـاهَـتـي الـيــومَ مـا زلْــ
ــتُ أرى الــنُّــورَ خـافِـتًـا وضَـئِـيـلا
وانــتــظـاري يَــجِــبُّ قـولـي ومـــا كـا
نَ صـغـيـرًا قـد صــار شـيْـئًـا مَـهُـولا
أيـــهـــا الـــعـــيـــد إنَّــهــم ودَّعــونـــي
ومـــضَـــوْا والحـــديـــثُ صـــارَ طـويـلا

****

المقصـــورة

أسـيـرُ ولـو بُـدِّلَ الـمُـنْـحـنـى
واسْـتَـسْـهِـلُ الـصَّـعْـبَ رغـمَ الضَّـنـا
ومـا ذاكَ مِـن شـيـمـةِ الـعـاجـزيـنَ
ولـكـنَّـه الـعـزمُ مـا أنْ وَنَـى
أسَـى أنْ تـرانـي أمـشـي ولا
تـرى مـا يُـلاقـيـهِ مِـنِّـي الأسـى
وَهَـمـيَ حُـبٌّ بـقـلـبـي يـعـيـشُ
وفـي الـلَّـيـلِ يـبـعـدُ عـنِّـي الـكَـرى
تحـمَّـلْـتُ مـا لـمْ أُطِـقْ حَـمْـلَـهُ
وأعـجـبُ مِـن ذاكَ مـا لـمْ يُـرَ
ويَـفْـضَـحُـنـي الـهـمـسُ حـيـن أبـوحُ
وأشـفـقُ مـن لامـعـاتِ الـمُـنـى
ويَـقْـتُـلـنـي الـصَّـمـتُ والـصَّـمـتُ نـارٌ
وحَـسْـبُـكَ مِـن حـرِّ نـارِ الـلَّـظـى
وأمـشـي لـهـا وهـي أبـعـدُ مِـنْـهـا
لأرتَـشِـفَ الـمـاءَ بـعـد الـظَّـمـا
وألـثُـمُ وجـهًـا كـوجـهِ الـصَّـبـاحِ
وأقْـطِـفُ زهـرًا كـزَهْـرِ الـرُّبـى

ولكنَّني والقضا بينَنا
أُسَلِّمُ أمري لِكَفِّ القَضا
لأنِّي في الأرض كنتُ وكانت
بعيدًا تطاولُ نَجْمَ السَّما
وأسعى لها رغمَ طولِ المدى
وأمشي لها رغم كيدِ العدِا
وأُخْبِرُها عن بغاثٍ تَساقَـ
ـطَ في الأرضِ قَبْلَ حلولِ الجَنَى
كِثَارٌ ولكن إذا ما عَدَدْتَ
فليسوا هناك وليسَوا هنا
كبارٌ ولكن بأجسامِهِمْ
حيارى كما احتار قَبْلُ القَطا
أَدِرْها على مرِّ أيامِهِمْ
ولا تبْقَيَنَّ على مَنْ بَقَى
كما اسْتُأْصِلَت دوحةٌ في الخريفِ
وكالنُّورِ في اللَّيلِ لما انْطَفى
مَضَتْ كلُّ أيامِ أمجادِهِمْ
وعاجَ الشَّقيُّ يُجيبُ الصَّدى
أيا أنتِ يا مَن سكَبْتِ الحروفَ
رحيقًا فأَسْكَرَ كُلَّ الدُّنى
وأطْلَعْتِ أقمارَ مَجْدٍ تسامى
إلى أنْ تسلَّقَ كلَّ الذُّرى
أُجِلُّكِ عن أنْ تكوني عقيمًا
وأنْ يَسْتَفِزَّكِ بردُ الشِّتا

وأنْ تُـصْـبِـحـي سـلـعـةً فـي المـــزادِ
لمــنَ رامَ بَــيْـعَــكِ أو مَـــنْ شَـــرَى
وأرضًـــــا بــهـا يــرتــعُ الــغُــربــاءُ
ويـــضـــربُ أبــنــاؤُهـــا فـــي الــعَــرا
ومِــــن عــنــتٍ أنْ يمـــوت الحـبـيـبُ
ويــحــيــا الـــعـــدوٌّ شـــديــد الــقُــوى
وتَــســقُــطُ جــوهــرةٌ فــي الــتُّـــرابِ
وتُـــعـــرضُ أصـــدافَـــهُـــمْ لِـلـمَـلا
وإنِّـــي وإنْ كَــثُـــرَ الــيــائِــســونَ
وشـــاعَ حــديــثُ الــضُّــحــى والــمَــسَــا
وأمــســيــتُ جُــرْحًـــا قــديمًـــا وثـــأرًا
يــنـــادي ويَـــصْــــرَخُ هـــلْ مِـــن فـتـى
فـــإنِّـــي لأؤمِــــــنُ بــالــغــيــثِ يــأتــي
وبـــالـــرَّعـــدِ يـــوقــظُ أهــــلَ الــقُــرى
وأؤمِــــــنُ بـــالخِـــيــرةِ الــطَّــيــبــيــنَ
وهـــمْ صــفــوةُ الـــنَّـــاسِ مِمَّــــن بـقـى
أُولَـــئِـــكَ لا المــــالُ أغْـــواهُـــمُ
ولا طَــلــبــوا غــيــرَ كَــسْــبِ الــثَّــنـا
وكـــم مـــــرَّةٍ قـــد تحـــداهُـــمُ
الـــزَّمـــانُ فــمــا فــلَّــهُــمْ أو وَهَـــى
يُــنــيــرونَ مــثْــلَ شــمــوعِ الــطَّــريــقِ
لمحـــو الـــظَّـــلامِ إذا مـــا دَجَـــا
ويـــغْـــمــرهُــمْ حُـــبُّ آبـــائِـــهِـــمْ
فــــأهـــلاً بـــــذاكَ وأهـــــلاً بِـــذا

فـلـيـسـوا كـمـن بـــدَّلـــوا ثـــوبَـــهُـــم
وأَلْـــهَـــاهُـــمُ الـــزَّيـــفُ فـيـمـنْ لَـهَـى
وضــلَّـــوا الـــطَّـريـــقَ إلـــى قَـــصْـــدِهِـــمْ
وطـــالـــت بـــهـــمْ فـــي المـسـيـــرِ الـنَّـوى
فـــلا عـــرفـــوا مَـــن مـشـــى قَـــبْـــلَـــهُـــمْ
ولا أدركـــــوا بَــــعْـــــدَهُـــمْ مَــــنْ أتـــى
وإنِّــــي وإنْ كـــنـــتُ مِـــنْـــهُـــمُ فـمـا
غَـــويـــتُ ولا شَـــفَّـــنـــي مـــن غَـــوَى
ويَـــعْـــتَـــلِـــجُ الـــشَّـــوقُ فـــي جـانـحـيَّ
إذا هَـــدْهَـــدَ الـــشَّـــوقُ أهـــلَ الـــهـوى
وأرجَــــــعُ أبـــحـــثُ عـــن خِـــدْرِهـــا
وأرْمِــــــي بـنَـــفْـــسـيَ فـيـمَـــنْ رَمَـــى
وأَحـــلـــفُ بـالـشِّـــعْـرِ غـضًّـــا وبـالـــزْ
زُهـــــورِ تَـــفَـــتَّـــحُ بَـــعْـــدَ الـــنَّـــدى
بـــأنَّـــكِ أبـــقَـــى وأنَّـــــكِ أنـقـــى
بِـــكِ المـبـتـدا وبـــكِ الـــمُـنْـتَـهـى
١٩٩٢/٧/٢

****

بيتٌ له سبعةُ أبــواب

١ - الباب الأول

ولـــمَّـا دخـلـتُ الـبـابَ نـاديـتُ أهـلَـهُ
فـجـاوَبَـنـي صـمـتُ هـنـالِـكَ مُـطْـبِـقُ
لَـقَـدْ رحـلـوا والـبـيـتُ أصـبـحَ بـعـدهُـم
بـه الـنُّـورُ يـخـبـو والـرِّيـاحُ تُـصَـفِّـق
نـوافـذُهُ أركـانُـهُ حـجـراتُـهُ
تـعـيـشُ بـه الـذِّكـرى ويـحـيـا الـتَّـمـزُّق

٢ - الباب الثاني

إذا ما رأيتَ اليمامَ يطاردُهُ في الصَّباحِ المطرْ
فلا تتحدَّ الشِّتاءَ وقِفْ خاضعًا عند فردوسِهِ
وصوَّر بضوءِ النُّجومِ الشَّجَرْ
ولا تتناسَى المساءَ وقهوتَهُ
والرِّياحُ التي تتوافدُ في كلِّ حينٍ على بيتنا
وحديثُ السَّمَرْ

٣ - الباب الثالث

أنَدْخلُهُ وقد نَسِيَتْهُ بعد رحيلنا الأقدارْ
لِنُنْعِشَ ذكرياتِ الأمسِ بعد تفاقُمِ الإعْصَار
فدعهُ يصارعُ الأيامَ في إصْرارْ

فمن وله سنحضنهُ ونُخفيهِ عن الأنظارْ
ونبنيه كما قَدْ كان في إصْرارْ

٤ - الباب الرابع

لم أجد خَلْفهُ موعدًا
فرجعتُ أحبُّ الأحاديثَ في كلِّ وجهٍ أراهْ
لأنَّ الوجوهَ خرائطُ غُرْبَتِنا
ولأن الوجوهَ بحارُ متاهَتِنا
ولأن الوجوهَ حضورُ الحياةِ ببسمتنا
ولأن الزَّمانَ بها بعد حينٍ سيكبرْ
وما في الوجوهِ سَيُزْهِرُ أكثرْ

٥ - الباب الخامس

يلتقي فيه كلُّ بخيلٍ
ويرِّتلُ إنجيلهُ الفقر...
لا شيءَ يوحي بما خلفه غير ماضٍ بعيدْ
يُؤَرقُهُ ويُؤْرِقُ مَن وَلَجَ البابْ
قَدَّ قميص الزَّمانْ
ففرَّقَ كلَّ الذي في يديهْ
وأمسى رهينَ المكانْ

٦ - الباب السادس

ينادي كلَّ مَن غابْ
ويحفرُ وحدهُ في الصَّمْتِ ذاكرةً
ليمتلئَ الفراغ بكلِّ أشباحِ الفراغْ
أجَدَّ يومٌ أمْ مضى يومُ
فأين أبوكَ أين أبوكْ؟
أين كتابُهُ ماعادَ يقرأْ

طواهُ كما طوى أحلاميَ النِّسيانْ
فليس سوى هوًى تُخْفيهِ أركانُ
نقائضُ هذه الأشياءْ
تموتُ كما يموتُ الصَّوتْ
وسطَ مَجاهلِ الصَّحراءْ

٧ - الباب السابع

وكما مضى يمضي ولا يأتي
وتُثْقِلُ بالحنين شقوقَهُ
وأحملهُ تباريحًا
وأحملهُ.. وأحملهُ.. وأحملهُ
وكم ذا يسألُ الماضي عن الآتي
وكم ذا يسألُ الآتي عن الماضي
إذا كانت خيامُ العشقِ تبْلى
ينتهي العشقُ..
وما صُغْناه من نَغَمٍ يموتُ
على شفاهٍ جِدُّ جامدةٍ
فَخَلِّ الرياح تصفقُ الأبوابْ
سرابٌ ما تراهُ العينُ
أمْ أنَّ الحياةَ سرابْ

٨ - الباب الثامن مكتوب عليه بيت من الشعر القديم:

وقالوا نَـأَتْ فاختَرْ لكَ الصَّبرَ أو البُكا:
فقلتُ البكا أشْفَى إذنْ لِغَليلي

١٩٨٧/١٠/٢٠

****

لا... النَّاهيــة

لا تَــلُــمْ مَــن كــان مِـثْـلـي يـلـومُ
رُبَّ لـيـلٍ ضـيَّـعَـتْـهُ الـنُّـجـومُ
طـــابَ لـــي أنْ اسـتـلـذَّ الـهـوى
رمْـــتُــــه لــكــنَّــهُ لا يَــــروم
كـــلَّـــمـــا عـــالجـــتُــــهُ مَــــرَّةً
عـــاوَدَتْـــهُ فـــي الــظَّــلامِ الـهُـمـوم
طَــعْــمُــهُ طــعــمُ الــرَّحــيــقِ وفــي
كَــبــدي مــنــه اســتــجــدَّتْ كـلُـوم
مُـصْـبِـحٌ.. مُــمْـسٍ.. مُـعـادٌ.. مُعيدٌ
إذا غَــطَّــتْ سـمـائـي الـسُّـدُوم
لـــو عـــلـــى الــبــحــر تــرسَّــمــتــهُ
لَـــبَـــدَا كـــالمـــوجِ وهـــنًـــا يَـعُـوم
أُمْـــنِـــيـــاتـــي بَـــعْـــدَهُ عـــودةٌ
يـسـتـرحْ حُـبِّـي الجـديـدُ الـقـديم(١)
كـــلَّـــمـــا ردَّدتُ أنـــغـــامَـــهُ
رَجَّـــعَ الأنـــغـــامَ بـعـدي الـنَّـسـيـم
هـو إنْـصـاتـي إذا مـا شَــدَا الـطَّـيْـ
ــرُ وغَــطَّــى الأرضَ نـبـتٌ عَـمـيـم

(١) هكذا ورد في الأصل.

يـــســتـــوي فـــيـــه الـــتُّـــولُّـــهُ مـا

رُمْـــتُ فـــي الـغـيـبِ ومـــا لا أَرُوم

كـلَّـمـا قـلـتُ انـتـهـى يَـبْـتَـدي

كـالـسَّـنـا تـهـربُ مـنـهُ الـغُـيـوم

رغـمَ نـارِ الجـرحِ هَـدْهَـدْتُـهُ

واسـتـوتْ جـنَّـتُـهُ والجـحـيـم

إن يـكـنْ طـالَ مـعـي عُـمْـرهُ

فَـهْـوَ كـأسـي والـشَّـذا والـنَّـديم

تحـتـفـي الـذِّكـرى بـه كـلّـمـا

هَـوَّمَ الـشَّـوقُ الـذي لا يـريم

أيُّـهـا الـهـاتـفُ فـي أَضْـلُـعـي

أنـتَ فـي سـمـعـيَ مـوسـى الـكَـليـم

لـيـس تـخـلـو دارةٌ مـنـكَ مـا

شَـعْـشَـعَ الـخـمـرُ وراقَ الـشَّـمـيـم

لا تـغـبْ عـنِّـي فـإنِّـي عـلـى الـ

ـعَـهْـدِ مُـذْ ضَـيَّـعْـتُ ودِّي مُـقـيـم

١٩٨٧/٨/٢١

****

لـــــوم

لائِـــمـــي أقـــصـــرْ ولا تَـــلُـــمِ
فـلـقـدْ ضـاعَـفْـتَ مِـــن أَلَـــمِـي
أنـــــتَ لا تـــــدري بمـــا فَـــعَـلَـتْ
قـــبـلـــكَ الأيــــامُ فـــي الـلَّـمَـمِ
وَهْـــــيَ فـــي أعـلـى طَـبَـائِـعِـهـا
تَمـــــزِجُ الأكـــــــدارَ بـالـنِّـعَـمِ
أَطْـلِـقـيـنـي إنَّـــنـــي رَجُـــــلُ
وَرِثَ الأحـــزانَ مِـــن قِـــدَمِ
شَـــمْـسُـــهُ بـالـعِـزِّ مُـشْـرِقَـةُ
نجـمـهُ مـا زالَ فـــي الـقِـمَـمِ
دارهُ فـــي كـــلِّ مـــنـــزلَـــةٍ
حَـظُّــهُ فـــي كُـــلِّ مُـلْـتَـحِـمِ
عـــابـــدٌ يـخـفـي عـبـادتَـهُ
واثــــقٌ فـــي خـيـرِ مُـعْـتَـصِـمِ
عـاشــقٌ والـعِـشْـقُ ضَـيَّـعَـهُ
لابِـــسٌ مـنـه إلـــى الـقَـدَمِ
لا تَـــسَــلْ عـــن حـالِـهِ فـلـقَـدْ
بـــاتَ مُـــنْـــذُ الآن فـــي صـمَـمِ

١٩٩٣/١٢/٢٣

****

كبريـــاء

لـن تـنـالـي مـا عـشْـتِ مـن كـبـريـائـي
أنـــتِ أرضٌ بـعـيـدةٌ عــن سـمـائـي
حَـسْـبُ نـفـسـي بـأنَّـنـي هـضـبـةٌ شَـمْـ
ـمَـاءُ وسْـــطَ الـعــواصِــفِ الـنَّـكْـبـاءِ
حَـسْـــبُ نـفـسـي بـأنـنـي نجـمــةٌ بَـيْـ
ـضــاءُ فــي جُـــنْـــحِ لـيـلـةٍ ظـلـمـاء
حَـسْــبُ نـفـسـي بـأنـنـي واحـــةٌ خَـضْـ
ـــراءُ فــي مَـهْـمـهٍ مِـــنَ الـصَّـحـراء
لــكِ أنْ تـنـبـشـي الـدفــاتـرَ إنْ شِـئْـ
ـتِ وأنْ تَـرْفُـضـي إذا لــمْ تـشـائـي
لـــكِ أن تَـسْـرجـي الخـيــولَ وأنْ لا
تـصــرفــي داحـــسًـــا عــن الــغَـبْــراء
لــكِ أن تُـشْـعـلـي الـظُّـنـونَ وأنْ تَـبْـ
ـــتَـدِعـــي كـــلَّ كــذبـــةٍ حَـمْـقــاء
ذاكَ أمــــرٌ لا يـنـتـهـي طـالمـا مـا
كــنــتُ أنـــا ســائــرٌ وأنـــتِ ورائـــي
فَـــسِّـــرِيــنِـــي كـمـا يُـــفَـــسَّـــرُ لـغـزٌ
مُـغـلَـقُ الـفـهـمِ ضـــاربٌ فــي الـعَـمـاء

رغـم أنِّـــي كـالمـاءِ فـي جَـام بِـلَّـوْ
رٍ شَـفـيـفٍ كـالـدَّمـعـةِ الخـرسـاء
بـيـنـنـا تـفـصـلُ المـسـافـاتُ لا ورْ
دُكِ وردي ولا انـتـمـائـي
قـدري أن أكـونَ مـنـكِ عـلـى الـقُـرْ
بِ بـعـيـدًا فـي سـاحـةٍ قَـفْـراء
أَتُـــرَاهــا بــدايــةٌ لانـتـهـائـي
أمْ تُـراهـا نـهـايـةٌ لابـتـدائـي

****

اعتـــراف

أنـــامُ وفـــي دمـــي الحـلـمُ الـشَّـهِـيُّ
وأصـحـو إذا صـحـا الـقـلـبُ الـشَّـجِـيُّ
إذا مـا سـرتُ سـار الـشِّـعـرُ خَـلْـفي
ولـكـنْ أيـنَ مِــنْ شـعـري الــرَّويُّ
زمـانـي لـم يَـعُـدْ أبـدًا زمـانـي
فـخـيـرٌ مـنـه مـا اعـتـنـق الخَـلِـيُّ
تـطـوفُ بـي المـنـازلُ حـيـث شـاءَتْ
ويَـغْـمُـرُني مـن المـوجِ الـعَـتِـيُّ
لأنِّـي لا أُسـيـمُ الخـسـفَ عَـمْـرُو
ولا لـلـشَّـرِّ جَـنَّـدَنـي عَـلِـيُّ
وكـنـتُ بـهـا أهـيـمُ ولا أُبـالـي
كـأَنِّـي فـي هـواهـا الـعـامِـرِيُّ
أمـرُّ بـهـا وقَـدْ نَـزَعـوا كـسَـاهَـا
فـيـأخـذني الـقـوامُ الـسَّـمْـهـرِيُّ
وأمـضـي وهـي مـن حُـرقـي لَـظَـاهـا
فـلا فـرحٌ ولا نـومٌ هَـنِـيُّ
أُسـائِـلُـهـا فـلا تُـبْـدي جـوابًـا
ودونَ جـوابِـهـا الـبـلـدُ الـقَـصِـيُّ

وأمــســحُ وجْـهَـهـا فــي كُــلِّ فَـجْـرٍ
وفـــي الأجـــفـــانِ دمـــعٌ لـــؤْلـــؤيُّ
فــيــأخــذنــي ويمـــنـــعُ دمـــع عــيـنـي
صُـــمَـــاتٌ قــد أحـــاطَ بــهـا جَـلِــيُّ
أيــا أمَّ الــذيــن بَــنَــوْا صُــروحًــا
لـهـا خَـضَـعَ الــمُـكـابـرُ والــدَّعِــيُّ
ســألــتــكِ بــالــهــوى طـفـلاً غــريــرًا
وبــالجــمــع الـــذي ضَـــمَّ الــنَّــديُّ
بـــأَنْ لا تجـعـلـي حَــظِّــي حــروفًــا
أُبَــعْــثِــرُهــا كـمـا يـلـهـو الـصَّـبِـيُّ

****

وطــن

لأَغْــلَــى بــلادٍ لأَحْــلَــى وطــنْ
كـتـبـتُ نـشـيـدَ الـهـوى والـشَّـجَـنْ
وعــطَّــرتُ بــالــشَّــوقِ أفــيــاءَهُ
وأصْـفَـيـتُـهُ الــودَّ يــومَ الـمِـحَـن
كـمـا كـان كـنـتُ غـريـبَ الـطِّـمـاحِ
أُنــاجــيــهِ فــي سِــرِّهِ والـعَـلَـن
وأَرســمُــهُ فــي ظــلالِ الـعـيـونِ
وألــفــظُــهُ فــي عـمـيـق الـوَسَـن
وأُبْــــردُ مِــن مــائِــهِ غِـلَّـتـي
وآوي إلــى حُـضْـنِـهِ فـي الـزَّمـن
أحــسُّ بــه فــي دمــي نَـشْـوةً
وفــي خــاطـري لاعـجًـا مُـسْـتَـكـن
وأقــرأُهُ فــي جـبـينِ الـصَّـبـاحِ
وفــوقَ الـقِـبـابِ وتحــتَ الـفَـنَـن
أراهُ إذا مــا الــزَّمــانُ تَــوالــى
جـديـدًا مـدى الـدَّهْـرِ لا يُمْـتَـهَـن
يُمـيـتُ الـعـصـورَ ويُـفـنـي الـدُّهـورَ
ويـبـقـى كـمـا كـان أو لـم يَـكُـن

أَيَــــا تــونــسَ الـــحُــبِّ دُومـــــي لـنـا

وكـونـــي الــهـوى والـــشَّـــذا والـسَّــكَــن

وذُوبـــــــي اخـــضــــرارًا بـــأَجْــفَــانِــنـا

ومــــــاءً نمـــيـــرًا وصــــوتًـــا حَــسَـــن

فَــضـــائـــي مـــديـــدٌ وحُـــبِّـــي كـبـيـرٌ

ولـــي فـيـكِ مـــا نَـــالَـنِـــي مـــن مِــنَـــن

فـكـيـفَ أخـــــونُ الـــهـــوى بـعـدمـا

تَـــغَـلْــغَـلَ فـــي مُـــهْــجَـتـــي وكَــمَـــن

****

قتــــلٌ(١)

مــــهـــلاً فـــلا يُـــحْـــزِنْـــكَ قـتـلـي
فــــزمـــانُ ثَـــــأْري لـــم يُـــوَّلـــي
مــــهـــلاً فـــإنِّـــي مُـــــذْ وُلِــــدْ
تُ أنـــوءُ فـــي الـدُّنـيـا بِـحِـمْـلـي
تـــأتـــي الـــفــصـــولُ وكُـــلَّـــمـــا
أرجــــوهْ أن أحْــظَـى بِـفَـضْـلـي
أمُّ الخُــــطُــــوبِ أنــــا وكَـــــمْ
دُسْـــــتُ الخــطــوبَ أنـــا بِـنَـعْـلـي
ورمَـــــيْــــتُ فـــي بـــحـــرِ الـــزَّمـــا
نِ المــسْــتَـبِـدِّ بـكــلِّ ثِـقْـلـي
لا تَحْــسَـــبـــوا سَـــيْـــرِي تَـــوَقُّـــ
ـــفَ بـعـدمـا عَـصَـفـوا بِـرَحْـلـي
أنـــا فـــي المـــدى مـــا زلـــتُ أقْـــ
ـــطَـــعُ فـــي طـريـقـي كُـــلَّ حَـبْـل
وأرى بـــعَـــيْـــنـــي كُـــلَّـــمـــا
يَـــجْـــري ومـــا يَـــلْــقـــاهُ مِـثْـلـي
لا لـــــن أمــــوتَ ولا أمـــــوتُ
ولـــي هُـــنـــا مـــا عِـــشْـــتُ نَـسْـلـي

(١) قيلت بمناسبة توقيع المعاهدة الفلسطينية الإسرائيلية.

فَـــسَـــــلِ الــــتُّــــرابَ وهـــــذه الْـــ
أرضَ الــتــي مـــــادَتْ بِــأَهْـلــي
والـــبــحـــرَ والـــزَّيـــتـــونَ والـــ
ـــمُــــدُنَ الــتــي بُــنِـيَــتْ لأجـلـي
بِـــــيَـــــدَيَّ أمْـــسِـــكُـــهــا وأَطْـــــ
ـــلـــبُ قـبْـلَــتــي كَــيْـمــا أُصَـــلِّـــي
كُـــــــلٌّ لــــــهُ مـــا شــــــــاءَ، هَـــا
نَ الأمـــــرُ مـــن بَـــعْـــدِي وقَـبْـلــي
سِـــــيَّـــــانَ مَـــــنْ كَــتَـــبــوا ومَـــــنْ
حَــضَـــروا ومـــن قَـــدْ جــــاءَ يُمْـلِـي
يــبــقــى الأجَـــــــلُّ وفـــــي غَـــدٍ
ســـــــأَراكَ تَـــهْــتِــفُ لِـــلأَجَـــلِّ
دَعْـــــهـــا عــلــى مَـــــهَـــلٍ وإنِّــــي
لـــم أَزَلْ أمْـــشـــي بِمَـــهْـلــي
وأرى الــــسَّــــوادَ عــلــى الأديْـــــ
ـــمِ كـمـا أراهُ بِـــجُـــنْـــحِ لَــيْــل
يــتــفــقَّــدُ الــــنَّــــارَ الــتــي اخْـــ
ــــتَـــبَـــأَتْ ويـــقــتــلُ كُـــــلَّ ذُلِّ
١٩٩٣/٩/٢٥

****

الحديثُ حديثٌ

لــمْ يَــعُــدْ لــي فيـمـا أقــــولُ حــديـثُ
بــعــدمــا فــاتــنــي الــمــســيــرُ الــحــثــيــثُ
أُخْــــمِــــدَتْ جــــذوةُ الــكــلام ومـــن بــعْــ
ــــضِ كــلامــي الــجـــديـــدِ والمـــــوروث
ومـضـى مـا مـضـى وجـــاءَ مِـــن الأحْـــ
ــــداثِ مـا صـــرتُ بـعـدهـا أسـتـغـيـث
هـــــذه مــــوجـــــةٌ تـــــدافـــــع أمـــــوا
جًـــا وهـــــذا جـــوى بـقـلـبـي يَـعِـيـث
واصـطـبـاري وكـيـفَ لـي بـاصـطـباري
والــلَّــيــالــي حــديــثُــهــا مَــبْــثــوث
أنــا عــاهــدتُــهــا بـــأنْ أَزرع الــظُّــلْــ
ــمَــةَ نـــورًا والــلَّــيــلُ خَــصْــمٌ خَــبِــيـث
وأســـــوقُ الــرَّبــيــعَ فــي زمـــنِ الجَــدْ
بِ إذا لــم يُــبَــلِّــلِ الأرضَ غَــيْــث
غـيـرَ أنْ الحـــروفَ جـسـرُ الأمـانـي
والأمـــانـــي مـــــردودُهُـــــنَّ رَثِـــيــث
عـاتـبـيـنـي مـا شِـئْـتِ واسـتـبـقـي الـبـا
بَ وجِـــــدِّي فَــلِــلْــعــيــونِ بُــعــوث

وتَـخـلّـي عـن وجـهـكِ الـفـاتِـنِ الـرَّيْـ
ـيَـانِ مـا دُمْـتُ لـلـوعـودِ نَـكُـوث
واحْـشُـريـنـي فـي زمـرةِ الـمُـسْـتَخْـفيـ
ـنَ فَـإنِّـي الـتَّـربـيـعُ والـتَّـثْـلـيـث
ذاكَ أَنِّـي رأيـتُ مـا لَـمْ تَـرَ الـعيْـ
ـنُ وأغـضـيـتُ والـحـديـثُ حـديـث

****

قدرُ المواهبِ مرّةً أخرى[1]

مــا زلـــتُ مِــثْـلَــكَ ذاهــبًــا أو آيــبًـا
ألـقــى الــزَّمــانَ مـكـافِـحًـا ومُـحــاربـا
فـــإذا ضَــمَـمْـتَ إلـــيَّ جـرحًـا عــادَنِــي
جـــــرحٌ يمـــهِّـــدُ لـــلــجــراحِ مـســارِبـا
أنـا مـا كـرهـتُ الـنَّــارَ تَحْـــرِقُ جَبْهَتي
أنـــا مـــا نـكـرتُ الـقَـيْـضَ يـلـفـحُ لاهِـبا
خـوَّضـتُ فـي الأشـــواكِ أمـشـي حـافـيا
وقـطـعـتُ صـحــراءَ الـحـيــاةِ مُـغَــالـبا
وبـنـيــتُ لـــلأحـــزانِ دارًا شِــدْتُــهــا
بـالـصَّـبـر مَـشْــروبًــا وطَـــورًا شَــارِبـا
ورضــيــتُ فــي وطـنـي بمـا قَـــدْ نَـالـنـي
إنْ كــنــتُ مـطـلـوبًـا بـــه أو طَــالِـبـا
أنـــا مـنــهُ حـتَّــى لــو كـتـبتُ قـصـائـدي
بــدمـي وأذريــــتُ الـــدُّمـــوعَ سَــواكِـبـا
وتَـــخَـــدَّرَ الـحـقـدُ الـــدَّفـــينُ بـجـانـحـي
وتَجَـــمَّـــعَ الحــــزنُ الـمـريــرُ سـحـائِـبـا

(١) لما قرأت قصيدة الأستاذ الكبير والشاعر الملهم محمد خليفة التليسي «قدر المواهب» عاد بي هاجس الحديث فكانت هذه القصيدة.

ولـقـيـتُ مــن عَـنَـتِ الـذيـن أُحِـبُّـهُـم
قــــدرًا يــجــرُّ غــرائــبًــا وعـجـائـبـا
أهــــواك يــا وطـنــي غـريـبًـا فـيـكَ أو
شـبـحًـا يُـرى خـلـفَ الـزمـانِ مُـوَاربَـا
أنـا مَـن سَـكَـبْـتُ مـن الأغـانـي عَـذْبـها
وشــدوتُ بـاسـمـكَ واحـتـسـبـتُ الـواهِـبـا
وشَــرِبْــتُ مــــاءَكَ سـلـسـبـيـلاً وِرْدُهُ
وعشـقـتُ بـحـركَ فـي الـشَّـواطِـئ غـاضِـبا
أنــا لــسـتُ مِمَّــن بــدَّل الأســمــاءَ بـالْـ
أســمـــاءِ مــكــذوبًــا عــلــيَّ وكــاذِبــا
واسـتـنـزفَ الــدّمَ مـن عـروقـكَ جـاريًـا
ولَـهَـى بِـضَـرْعِـكَ رَاضِـعًـا أو حَـالِـبًا
أنــا مــا خـلـعـتُ الــثَّــوْبَ أو بـدلْـتُـهُ
أبـــدًا ولا غــيَّــرْتُ يــومًـا صـاحِـبـا
فـخـطـوطُ رسـمـكَ لـمْ تـزلْ فـي جبهتي
نــورًا يـزيـحُ مِــنَ الـظَّـلام غَـيَـاهِـبـا
أســري ونــــوركَ فــي حـنـايـا أَضْـلُـعـي
نجـمًـا يُـضــيءُ مـشـارِقًـا ومَـغَـارِبـا
فــي كُــلِّ أرضِ الـلّـه كـنـتَ مـؤانِـسِـي
أنِّـــي ذهــبــتُ أراكَ دومًــــا واثِـبـا
مـا بـالُ مــنْ جعـلـوا المـطـامِـعَ هَـمّـهُـمْ
يَـــبْــرونَ أظــفــارًا لَــهُـم ومَـخَـالِـبـا

باعوكَ بالبخْسِ الرَّخيصِ وغيَّبوا
في أفقِكَ الزَّاهي المنيرَ كواكِبا
كانت سَتُغْشي عيونَهُمْ لو أشرقَتْ
ليلاً وتفضحُ في الظَّلامِ ثَعَالبا
لبسوا مسوحَ الزَّيفِ حتّى خِلْتَهُمْ
زيفًا بدا للعينِ يكسِرُ حاجِبا
مُتَنَمِّرينَ على القريبِ وهُمْ إذا
حَضَرَ الغريبُ كما رأيتَ أرانِبا
لا يدفَعون أذًى إذا غاداهُمُ
أو ينفعونَ أحبةً وأقاربا
حسبُ امرئٍ منهُمُ غنيمةُ يَوْمِهِ
حتَّى إذا أثْرى تَنَحَّى جانِبا
متخلِّيا عَن كُلِّ مكرمةٍ بها
يسمو ويَسْهَرُ بعدَ ذلك حاسِبا
ومن الحسابِ دقائقٌ من عُمرِهِ
تمضي وتفسحُ للهمومِ مَسَارِبا
فاحمدْ هنا زمن النَّوابغِ إنَّهُ
زمِنٌ يطيبُ مطاعمًا ومَشَاربا
يتفيأونَ ظلالَ حسٍّ عارمٍ
ويلملمونَ من الشُّموسِ ذوائِبا
في كُلِّ عين رفةٌ من حُبِّهمْ
وبكلِّ قلبٍ يَزْرَعونَ أطايِبا

فَـأجـلٌّ مـن صـنـعَ الخـلـودَ عـقـولُـهُـمْ
وأعـــزُّ مَــن مـسـك الــزَّمــان الـذاهـبـا
إن كـنـت تـبـصـرُهـم يـغـيـبُ صـوتـهُـمْ
أو يـشــربـونَ مــعَ المــيــاهِ شَــوَائِـبـا
فَــلأنَّــهــم مــلــحُ الحــيــاةِ وطـيـبُـهـا
لا يـخـلـفـونَ ضـمـيـرهـم والـواجِـبـا
شَــهـدُوا بمـا عَـلِـمـوا وتـلـك حظوظُـهـم
مَــن ذا يـعـنِّـفُ شــاعـرًا أو كـاتِـبـا
١٩٩١/٥/٢١

****

عَرِيبٌ

سَلْ عن طريقِ الشَّمسِ قافلتي
وعَنِ السَّنا المخضوبِ قافِيَتي
وأسألْ عريبًا كيف هَدْهَدَها
شِعْري وكيف توسَّدَتْ رئَتِي
أشْرَبْتُها حُبِّي فما رَوِيَتْ
وَسَقَيْتُها مِن خَمْرِ دالِيَتي
وَفَطَمْتُ عِشْقي بعدها وَلَمْ
أهوى وأعشَقُ وهي فاتِنَتي
سِرْنا معًا من يوم أنْ طَلَعَتْ
شَمْسي وخاطَ الفَجْرُ أَلْوِيَتي
ما كُنْتُ أبْغِي بعدها بدلا
وَلَوْ اشْتَكي رَكْبي وراحِلَتِي
قَدْ تأخذُ الأيامُ ما وَهَبَتْ
وتُجِدُّ من فَرْضِي ونَافِلَتي
لكنَّ ما ضَمَّتْهُ أَجْنِحَتي
يَبْقى كَبَرْدِ الماءِ في شَفَتي
ناديتُ حتَّى بُحَّ صَوْتي وفي
أعقابِهِ ضَيَّعْتُ أَسْئِلَتي

خَبَأْتُ سِرِّي في مَرَافِئِها
والبحرُ لم يَعْبَأْ بأغْنِيَتي
وسألتُ عنها الليلَ حين دَجَى
والليلُ يعرفُ كُلَّ مَلْحَمَتي
وغَدَوتُ في طُرقَاتِها تَعِبًا
أُمْسي وأُصْبِحُ وهي ذاكِرَتي
ونَزَلْتُ فوقَ سِياجِها مطرًا
ومِنَ الغُيوم غَزَلْتُ أرْدِيَتي
أَنا ما عَصَيْتُ لها هوًى أبدًا
أنا ما حَبَسْتُ مياه ساقِيَتي
أَنا ما سَمِعْتُ حديثَ واشِيَةٍ
فيها ولا صَدَّقْتُ عاذِلَتي
هي ظِلُّ أشجاري أفيئُ لها
وحديثُ أسْماري وسَاحِرَتي
وكتابُ أشْعَاري وراوِيَتي
وحريرُ أقلامي ومِحْبَرَتي
سَمَّيْتُها «بغدادَ» في حُلُمي
ودَعَوْتُها «لبنانَ» في سِنتي
وفَتَحْتُ بابَ «القيروانِ» لها
وجَعَلْتُها شُغْلي وشاغِلَتي
ما بالُها صدَّتْ فما رَجَعَتْ
والخوفُ يَسْكُنُ كُلَّ أَرْوِقَتي
والمستهينُ بها يُؤَلِّبُهُ
حِقْدٌ فَيجدِلُ حَبْلَ مِشْنَقَتي

مــا بـــينَ مَــنْــفــايَ وغُــرْبَــتِــهــا

عَــتَّــقْــتُ أحـــزانـــي بـخــابِـيَـتــي

وطــويــتُ أوْجــاعِــيْ عـلــى مَـضَـضٍ

ودَفَــنْــتُ فــي الأحــشــاءِ مُـعْـضِـلَـتــي

وبـــرَغْـــمِ مــا أَلَــقــاهُ مِــن أَلَـــمٍ

وبِـــرَغْـــم مــا أَجْــنــيــهِ مــن عَـنَـتِ

أَبْـــقـــى لــهــا وبـــهــا وأجْــعَــلُــهــا

نَـــاري إذا ضَــيَّــعْــتُ مِــدْفَــأَتــي

أنــا لــمْ أَزَلْ أَقْــتــاتُ مِــن ظَـمَـأي

مُـنْـذُ اخـتَـفَـتْ فـي الـغَـيْـبِ ساقِيَتي

أتـــبـــرَّضُ الحـــزنَ الـعـتـيـقَ ومِـــنْ

حُــزْنــي رَفَــعْــتُ جِـــدارَ مَـظْـلَـمَـتـي

رُدُّوا لــهــا وَجْـــهًــا كـمــا طَـلَـعَـتْ

شــمــسٌ عــلــى أَفْـــنـــانِ مـونِـقَــة

وتَـــفَـــقَّـــدوا طـيـنًــا لــهــا عَـــطِـــرًا

وروًى أُقَــلِــبُــهــا بــخــاطِــرَتــي

لــلــخُــلْــدِ أدْفَــعُــهــا وتَــدْفَــعُــنــي

وبــهــا أُداوي جِـــــرَاحَ أَزْمِــنَــتــي

١٩٨٩/١١/٢٣

****

ثابت يبحث عـــن أخيه عقيل

لا تَـسَـلْـنـي وَسَــــلْ زمــانًــا تــردَّى
كــان جَـــــزْرًا وأصــبــحَ الآن مَـــدًّا
لا تـسـلـنـي وأنــــتَ أعــــرفُ بـالــمَـا
ضِـــي وأدرى بمــا اســتــهـلَّ وَجَـــدًّا
حـين كنَّا كـالـدَّهـرِ فـي صَـفْـوِهِ والـشَّمـ
ـــسُ فـــي شَــرْقِــهــا ســنــاءً وبُــعْــدا
حـــين جُـبْـنـا الأقــطــارَ نـطـوي مَـداهـا
ورفــعــنــا الــبــنــودَ بــنــدًا فَـبَـنْـدا
مــا لـنـا مِـــن عِـتَــادِهــا غَــيْــرَ إيمـا
نٍ يَــهِــدُّ الجــبــالَ فــي الــكــونِ هَـــدًّا
هَــبَــطَــتْ لــلـحـضـيـضِ أيـامُــنــا مـا
كـــان مـنـهـا مَـثْـنَـى ومـــا كـــان فـــردا
واســتــوى الـــنُّــورُ والــظَّــلامُ ومــا يَـأْ
تـــي ومـــا لـــمْ يـجـيءُ ومـــا لــم يُـــؤَدَّا
يــا بـــلادي ولـســتُ أعـــدَمُ مَـــن يَـسْـ
ـمَـعُ فـيـكِ الــكــلامَ لـلـخـيـرِ يُـسْـدّى
كَــبِــدي إن ضَـمَـمْـتُـهـا فـهـي مـنِّـي
وجِــراحــي إنْ صُـنْـتُـهـا كـــان أجْــدَى

كَـبُـرَ الـحـقـدُ أنْ يـكـون لـهـيبًـا
والـقـريـبُ الأدنـى الـعـدوُّ الألَـدَّا
قَـدْ نَكَثْنـا الـوعـودَ والـوعـدُ صـدقٌ
ونَـسِـيـنـا الـذي مـضـى وتَـعَـدَّى
ومَـحَـوْنـا الـسُّـطـوَر سـطـرًا فَـسـطـرًا
وشَـجـبْـنـا الأنـسـابَ حـصـرًا وَعَـدًّا
كـلُّ مـا كـان أرْخَـصَـتْـهُ الـلَّـيـالـي
والـلَّـيـالـي دُيـونُـهـا لـنْ تُـرَدَّا
كـان عـنـدي حُـبٌّ فـضـاعَ ومـا عَـا
دَ ومـا خُـنْـتُ لـلـمـحـبـينَ عَـهْـدا
أيـن ظِـلٌّ أظَـلَّـنـي عـنـدمـا جِـئْـ
ـتُ أغـاديـه لـلـهـوى أتَـصَـدَّى
وأرانـي أهـزوجـةً فـي فـم الـشِّـعـ
ـرِ وشـعـرًا يُـرْوى ولحـنًـا يُـؤَدَّى
وصـبـابـاتُ أمَّـةٍ جـعـلـتْ لـلـعِـشْـ
ـقِ بـيـتًـا بـهـا ولـلـضَّـمِ زنْـدا
صَـيَّـروا شَـوْقَـنـا دمـوعًـا ولـن نَـغْـ
ـفِـرَ ذنـبًـا بـشَـوْقِـنـا الـبِـكْـر أَوْدَى
قَـدْ حَـمَـلْـنـا الأحـزانَ وهـي ثِـقـالٌ
واحْـتَـمَـلْـنـا مـع الـزَّمـانِ الأشـدَّا
ذاكَ أنَّ الـذي وراءَ خـوافـيـ
ـنـا كـبـيـرٌ فـلـنْ يمـوتَ ويَـهْـدَا
شُـعْـلَـةٌ لـلـحـيـاةِ أوْقَـدَهـا الـلـ
ـهُ ونـورُ الحـيـاةِ لـلـقـلـبِ أهْـدى